(٣)

المفاوضة

حنان عشراوى

يتحدثون عنها فى أمريكا على أنها (السيدة الأولى)..

ويتحدثون عنها فى إسرائيل على أنها الدكتورة التى تتحدى القانون الإسرائيلى ويجب محاكمتها.

ويتحدثون عنها داخل الأرض المحتلة، وبين نساء الانتفاضة وأبطالها على أنها الأم الشجاعة التى لا تتردد فى السعى لتؤكد للعالم كله عدالة القضية الفلسطينية؟

ويرددون اسمها فى أروقة الأمم المتحدة، وخلف الأبواب فى (لندن) وراء نادى الصنوبر بالجزائر، وينتظرونها فى واشنطن أو نيويورك لتجرى (مع زميلها فيصل الحسينى) محادثات مع جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكى ويتربصون بها فى إسرائيل بأنها ستحاكم لأنها – بحسب القانون الإسرائيلى– سوف تقدم للمحاكمة..

فمن هذه (السيدة الأولى)..؟

وما حكاية الدكتورة حنان؟

لنحاول التعرف عليها

صورة:

د. حنان عشراوى، هى التى تمثل (مع زميلها فيصل الحسينى) الوفد الفلسطينى، المكلف بعقد اجتماعات تمهيدية وترسيخ تصورات معينة قبل البدء فى مؤتمر السلام فى ديسمبر ١٩٩٣..

ود. حنان هى التى تمثل مع زميلها المجلس الوطنى الفلسطينى (البرلمان الفلسطينى فى المنفى) بعد أن رفضت إسرائيل التعامل مباشرة مع ممثل هذا المجلس – منظمة التحرير الفلسطينية –..

وهى التى تلعب أقوى الأدوار لتمثيل الشعب الفلسطينى كله، وتحاول الإفادة من كل المتغيرات لإحداث استقلال للقرار الفلسطينى الذى يستطيع أن ينال حقوقه المسلوبة فى المؤتمر..

لنقترب أكثر من د. حنان قبل أن نتمهل عند هذا الدور

صورة شخصية :

وإلقاء الضوء على صورتها الشخصية يقربنا أكثر من (تكوين) هذه السيدة ودورها الشجاع فى الأحداث الجارية والمؤتمر المقام الآن..

– أنا من مواليد هذا الشهر ٨ أكتوبر

– فى أى عام يا دكتورة ؟

– عام ١٩٤٤ وولدت فى رام الله.

– وكيف تعيشين فى القدس ؟

– ولماذا لا أعيش فيها، فإنى فلسطينية، ثم إن والدى الطبيب كان يحمل هوية هذه المدينة وتتوالى ملامح الصورة الشخصية أكثر.

الدكتورة حنان عشراوى درست بالجامعة الأمريكية ببيروت وحصلت على (الدكتوراه) الإنجليزية من جامعة فيرجينيا فى الولايات المتحدة الأمريكية، وعملت لمدة ثمانى سنوات بمنصب رئيس دائرة اللغة الإنجليزية فى جامعة بيرزيت، ثم أصبحت عميدة لكلية الآداب فى نفس الجامعة لأربع سنوات أخرى، أما اليوم فهى تعمل أستاذة مساعدة فى قسم اللغة الإنجليزية بالكلية..

ومع أن د. حنان لم تكن أبرز النساء الفلسطينيات فى العمل القومى، فإنها برزت – فجأة – على أنها أشهرهن على الإطلاق..

هناك نساء كثيرات لهن شهرة كبيرة من سنوات بعيدة: ريموندا الطويل، سميحة خليل، زهيرة كمال، سميرة أبو غزالة.. إلخ، غير أن د. حنان استطاعت أن تصبح، بوجودها الحى فى عديد من الندوات، وحضورها المؤثر فى جميع الندوات والمؤتمرات، أن تكسب سمعة وطنية عالية، حتى إنها شاركت فى قرابة سبع مقابلات مع بيكر بتوكيل من منظمة التحرير..

واللافت للنظر هنا أنه على رغم أن حنان عشراوى تنتمى إلى أسرة أرستقراطية، فإن ذلك لم يمنعها من أن تندرج فى جميع فئات الشعب الفلسطينى، خاصة أبناء الانتفاضة، فذاب التكوين الأرستقراطى فى الشعبى، وراح يتدرج معها تعبيًا وطنيًا جارفًا، ولم تكن الطبقة – كما يردد أصحاب النظريات – حائلاً دون الهبوط إلى ساحة الكفاح الوطنى فى أصعب فتراتها..

وكان أظهر العلامات فى وعى حنان عشراوى وعمليتها أنها، عقب إغلاق جامعة بيرزيت التى تعمل بها – على أثر تصاعد الانتفاضة – ركزت جهودها فى العمل الدبلوماسى لفهم الأوراق التى تتعامل بها أمريكا الآن فى المشكلة العربية، وكان لها من الذكاء بحيث عرفت كيف تدار الأوراق وتفهم، وأين تقع بالضبط الورقة الفلسطينية التى تعيد الأرض للشعب الفلسطينى..

إضاءة :

كانت حنان عشـراوى تعرف جيدًا سـعى الولايات المتحدة لإقامة مؤتمر للسلام؛ وفى الوقت نفسـه تعرف النوازع والأسباب التى تفرض نفسـها على الولايات المتحدة، إنها تقول بعد سبع مقابلات مع بيكر:

– ليس هناك شك فى أن بيكر جاد فى البحث عن حل لمشكلة الشرق الأوسط

ثم تضيف بسرعة :

– ولكن، أيضًا، أعرف أنه عمل براجماتى للغاية.

بيكر يتعامل مع حقيقة سياسية، إلا أن البراجماتية الشديدة غالبًا ما تقود الناس إلى التضحية بحقوقهم ومبادئهم..

إنهـا تريـد أن تقول: إن أية محاولة يريد أن يدلل بهـا الوزير بيكر على الموقف العربى بعد أزمة الخليج محاولة فاشلة..

وأن هـذا يسـتتبع أن يفهم الأمريكيون أن للعرب حقوقًا لابد مـن الحصول عليها، وإن على إسرائيل موقفًا ينبغى فيه رد الحقوق إلى أصحابها، وإنه – حتى – إذا أعربت أمريكا أنها تبذل جهدًا كبيرًا للحديث مع إسـرائيل لتغيير موقفها (لم تكن مسـألة القروض قد ظهرت بعد)، فإن الكلام وحده لا يكفى..

ينبغـى اتخـاذ موقف نابع من الضغط الحقيقى على إسـرائيل التى تعودت أن تلقى بوعودها عـرض الحقائق، وأن تتنـازل عن قرارات الأمم المتحدة التى سـبق وأن تظاهرت للامتثال لها، وحتى الشجب والاستنكار العالمى لم تعد تأبه به.

وقد راحت حنان عشـراوى منذ فترة مبكرة تتحدث بوضوح عن عديد من القرارات التى أمن عليها وأيدها فيما بعد نص البيان الختامى للدورة العشرين للمجلس الوطنى.

ولا يمكن أن نثبت هذه الإضاءة على مواقف حنان عشـراوى دون أن نشـير إلى بعض الأسس التى أشـار إليها المجلس الوطنى الفلسـطينى بعد الالتقاء مع كل من حنان عشـراوى وفيصل الحسينى:

– الانسـحاب الشـامل من الأرض العربية الفلسـطينية بما فيها القدس وتحقيق مبدأ الأرض مقابل السلام.

– القدس جزء لا يتجزأ من الأرض الفلسطينية

– وقف الاستيطان.. مع ضمانات دولية

- حق منظمة التحرير لتشكيل وفدها
- تنسيق المواقف العربية لضمان الحق الشامل
- ضمان ترابط مراحل الحل

وما إلى ذلك مما يلقى (إضاءة) كاملة على الارتباط الكبير بين حنان عشراوى وفكر منظمة التحرير وهو ما أسهم فى تأكيد دورها حتى الآن فى الجانب الأمريكى.

الخط الحاسم :

ويمكن القول بأن حنان عشراوى كانت أهم الخطوط فى التئام الأطراف الفلسطينية، فحين تم اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى بالجزائر، ووجد أعضاء المنظمة أنهم أمام خلافات كثيرة فى الرأى مما لا يحسم قضية الاشتراك فى مؤتمر السلام، لم يجد الحاضرون أمامهم غير حنان عشراوى..

لم يجدوا غير هذه السيدة التى كانت تدخل فى مفاوضات مبدئية مع بيكر فاستدعوها إلى الجزائر، واستطاعت حنان عشراوى أن تمثل الخط الحاسم فى لوحة الحسم الجماعى..

ويلاحظ أن عددًا كبيرًا من الحاضرين كانوا على خلاف مع هذه السيدة، ومع ذلك، فإنها حين دخلت القاعة وقف الجميع وحيوها وصفقوا لها بحرارة..

كان عدد كبير من الحاضرين يرون رفض حضور هذا المؤتمر، على العكس من عدد آخر كان يدعو إلى العكس، الحضور، والمطالبة بالحقوق الفلسطينية، وظلت حنان عشراوى تتحدث لساعات لتحسم هذا الرأى الأخير..

إنها راحت تتحدث عن قناعات بيكر - الممثل الأمريكى - وأحلام إسرائيل- الممثل المحتل- إذ راحت تقول كثيرًا..

- إننا شعب غير مهزوم على رغم أننا تحت الاحتلال.

لنا مبادئ لا يمكن التخلى عنها..

لنا إرادة مستقلة وثقة بالنفس، وثقة بالحق الكامل.

كان ملخص ما تؤكده حنان عشراوى هو ضرورة الاشتراك فى مؤتمر السلام وأهمية متابعة الحوار مع الإدارة الأمريكية، قالت عشراوى بالحرف الواحد:

- لقد أكد لنا بيكر فى اللقاءات الأربعة الأخيرة أن الولايات المتحدة غير معنية بتقسيم الشعب الفلسطينى (أى الفصل بين الداخل والخارج) كما أنها غير معنية بتغيير القيادة الفلسطينية وتستطيعون الاتصال بقيادتكم كما تشاءون وتَلَقّى تعليمات منها..

كان وضوح عشراوى ضد رغبة إسرائيل برفض تمثل المنظمة، أو رفض تمثل القدس «إننا نحمل هوية تمكين القدس ولكن لا يوجد أى فلسطينى أو عربى مستعد للاشتراك فى مسيرة السلام بدون

تمثيل القدس أو أية موافقة تعطى لإسرائيل الحق على ضم القدس» (أهرام ١٤ أغسطس ١٩٩١).

وعلى ذلك، نجحت حنان عشـراوى (مع فيصل الحسينى) فى إنجاح صيغة مشتركة لمنظمة التحرير كان من شأنها التوسط بين المجلس الوطنى وواشنطن بشكل خاص.

كان على الدكتورة حنان أن تطرد شـبهة اليأس أو التقاعس للاشـتراك فى هذا المؤتمر الذى يشارك فيه الأقطار العربية تحت رعاية ومسئولية أمريكا.

على أن هذا الموقف كلفها تحرش إسرائيل بها، فمن المعروف أن هذا اللقاء الذى تم بالجزائر ترفضه إسـرائيل؛ إذ إن هناك قانونًا إسـرائيليًا لا يسـمح باللقاء مع أحد ممثلى هيئة التحرير الفلسطينية وبذلك، كان على هذه السيدة أن تتعرض للمحاكمة بعد أن تعود إلى إسرائيل..

كانت تعلم ذلك، لكنها لم تتردد

تكوين :

كان هذا هو تكوين الدكتورة حنان.. الشجاعة الفائقة..

وهـذا التكويـن لم يكـن وليد اللحظة، وإنمـا يعود إلى بدايات السـبعينات، ثـم فى نهاية الثمانينات، ثم الآن تكرر نفس الموقف..

المرة الأولى:

كانت تعود من بيروت، بعد أن أنهت دراسـتها، وما كادت تصل إلى بيت أسـرتها فى رام الله حتى تم استدعاؤها:

- إلى أين؟
- إلى مقر الحاكم العسكرى الإسرائيلى
- لماذا؟
- بتهمة أنك إرهابية (..)
- وماذا أيضًا؟
- وبأنك عضو فى اتحاد الطلاب الفلسطينيين.. هل تنكرين؟
- لا أنكر، ولكن..

ولم يـترك لهـا أن تدافع عن نفسـها، وإنما تم تهديدها، ولم يطلق سـراحها إلا بدفع كفالة كبيرة جدًا.

المرة الثانية:

واتهمت أكثر من مرة فيما بعد، كان أهمها اتهامها بالسـفر إلى لندن، والتقاؤها هناك بممثل منظمة التحرير الفلسطينية، وتم استدعاؤها:

– لماذا تم خرق القانون الإسرائيلى؟

– كيف؟

– بالسفر إلى لندن والالتقاء بممثلى منظمة التحرير، و..

– لم نخرق أى قانون؟

– وخصوصًا أنك من القدس التى ضمت إلى الأرض الإسرائيلية بموجب تعديل القانون الذى يسمى بـ «مكافحة الإرهاب»..

– إن ذلك القانون متوارث عن تشريعات الانتداب البريطانى فى فلسطين قبل أن تصبح إسرائيل.

– نعرف، ونعرف أن العقوبة تصل إلى ثلاث سنوات سجن.

– إذن، لم نخرق أى قانون.

– هل يمكن أن نجد تفسيرًا لذلك؟

– أى تفسير، لم نخرق أى قانون ونحتفظ بحقنا فى الصمت، وتضحك الدكتورة حنان وهى تقول لأحد محدثيها:

– وعلى أية حال، هل يستطيع أحد أن يؤكد ذلك.

– ويسقط فى يد هيئة التحقيق، ويتقرر الإفراج عنها بعد ساعتين..

المرة الثالثة:

ثم كانت المرة الثالثة، هذا اللقاء مع أعضاء دورة المجلس الوطنى الفلسطينى؛ إذ التقت معهم حوالى ٢٤ ساعة، ولكن لم يسمح بظهورها أمام الصحفيين كى لا يكون ذلك قرينة تحاكم بها حين تعود إلى إسرائيل.

لقد أقامت د. حنان فى نادى الصنوبر حيث قصر الأمم، واستطاعت أن تنجز مهمتها فى سرية ومهارة شديدتين مما جعل إسرائيل تقع فى حيرة شديدة؛ إذ كيف توجه إليها تهمة مخالفة للقانون الإسرائيلى حين تعود.

الأكثر من ذلك أن عديدا من المصادر فى منظمة التحرير الفلسطينية ذكرت مغادرة عشراوى للجزائر بعد التحدث أمام المجلس..

على أية حال، فقد استطاعت عشراوى العودة إلى لندن دون أن تترك قرينة واحدة تشهد عليها بأنها كانت قد جاءت إلى الجزائر، وتسجل لنا مندوبة وكالة رويتر هذا الحديث بينها وبين الدكتورة حنان فى فندق بلندن، وقد جرى الحديث تليفونيًا:

– نعم، أنا د. حنان عشراوى

– هل تنفين أنك كنت فى الجزائر؟

– نعم.. إننى أنفى القصة.

– أين كنتما طوال اليومين الماضيين؟ (مع الحسينى).

– كنا فى إنجلترا.. ولم نغادر المملكة المتحدة.

إلى آخر هذا الحديث المراوغ..

وفى الأرض المحتلة نقرأ أن القوات الإسرائيلية مازالت تتحدث بأن أناسا من يهودا والسامرة (يقصدون الضفة الغربية) شاركوا فى اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى فإن الخطوات التى يمليها القانون ستتخذ فى حقهم.

وفى الوقت الذى تكتب فيه هذه السطور يكون الوفد الذى تمثله عشراوى يتأهب للقاء بالوزير الأمريكى بيكر، للتأكيد فى الاشتراك فى المؤتمر القادم، بما يشير إلى أن عشراوى هنا تمثل اتجاها جديدًا فى الموقف الفلسطينى، اتجاه يرى ضرورة فتح كل الأبواب – كما تقول – لا يمكننى إغلاق الأبواب وتبنى الصمت لا الواقع الأليم، أو لأن المعطيات ليست فى صالحى..

ويبدو أن الوعى لدى حنان عشراوى يصل إلى أقصاه بالفعل، فبرغم أنها تهدد – من قبل الإسرائيليين – بأنها لن تشارك فى مؤتمر السلام لكونها تتعامل مع المنظمة، وهم يرددون أنهم لا يعترفون بالمنظمة، كما أنها من ساكنى القدس، وهم يرفضون – كما يزعمون – التنازل عن القدس.. على رغم هذا، فإنها لم تتوقف لحظة عن دورها..

وهذا الدور لم يرهبه تخويف المسئولين الإسرائيليين: ديفيد ليفى وزير الخارجية، إيهود جول المتحدث باسم رئاسة مجلس الوزراء، وشامير نفسه.. فراحت تجاوز التهديدات الإسرائيلية والمواقف السيئة إلى التعامل مع شروط مؤتمر السلام لإنقاذ شعب الانتفاضة الفلسطينية من ربقة الاحتلال.

الأكثر من هذا أن لحنان عشراوى وعيًا مكنها من استشراف ما يحدث فى المستقبل، فحين سألها مسئول الـ «بى بى سى» (الإذاعة البريطانية) فى ٢٣ يونيو – أى من قرابة ثلاثة أشهر – عن نصيحة السفير الإسرائيلى فى واشنطن لحكومته فى الاختيار بين الاستيطان أو توقع ضمانات أمريكية للقروض:

قالت حنان عشراوى بما شبه النبوءة: إن التوجه العالمى هو لربط ضمانات القروض لاستيعاب المهاجرين الجدد فى إسرائيل بقضية دخول إسرائيل لعملية السلام وعدم الاستيطان فى الأراضى المحتلة.. وإن إسرائيل لن تقوم بوقف عمليات الاستيطان بسهولة..

وهو ما تنبهت إليه الحكومة الأمريكية – بالفعل – فيما بعد، وأثارت ربط قضية القروض بالاستيطان، والنصح بتأجيلها إلى ما بعد علمية مؤتمر السلام.

والآن،

هل تعرفون الدكتورة حنان؟

أم مشغولون بأشياء أخرى كثيرة؟

المراجع

(*) انظر على سبيل المثال، كما ترده المواقع الحديثة، وبشكل تقريرى:

(د. حنان داود خليل عشـــراوى هى ناشـطة سياسية فلسـطينية. كانت قائدة فى الانتفاضة الأولى، والمتحدثة الرسمية باسم السلطة الفلسطينية. عشراوى من مواليد ١٩٤٦، أستاذة جامعية وأمّ لبنتين، اختيرت فى ١٩٩١ لتمثيل منظمة التحرير الفلسـطينية فى محادثات سـلام الشرق الأوســط فى مدريد فى أكتوبر. إتقانها الانجليزية ومهارات التفاوض وفق النمط الغربى حقق لها إعجاب خصومها الإسرائيليين فى المحادثات التى اشتركوا بها.

عشــراوى ولدت فى رام الله، فلسطين، وهى الأصغر من خمسة بنات لطبيب فلسطينى وقائد سياســى مسيحى. درســت فى المدارس المســيحية وفى الجامعة الأمريكية فى بيروت، لبنان، قبــل حصولها على الدكتوراة من جامعة فرجينيــا فى الولايات المتحدة. هى وزوجها وهو مصور محترف وموســيقار، اختارا العيش فى الضفة الغربية المحتلّة، حيث أصبحت أســتاذة جامعية فى جامعة بير زيت.

عشــراوى انضمت لفتح وقد اختيرت كعضو فى مفاوضات الشــرق الأوسط. حضرت محادثات الســلام خلال الجلســة الافتتاحية فى مدريد حتى الخاتمة الناجحة فى ديسمبر ١٩٩٣، عندما استقالت لترأس البعثة الفلسطينية لمنظمة التحرير فى واشنطن. عند بدأ الانسحابات الإسرائيلية، عادت إلى مسئولياتها فى جامعة بير زيت، حيث ترأست اللجنة المستقلة الفلسطينية للدفاع عن الحقّوق المدنية. فى يناير ١٩٩٦ اختيرت لمقعد فى المجلس الفلسطينى تمثّل القدس الشرقية).

– أيضا انظر على سبيل المثال :

- http://ar.wikipedia.org/wiki
- http://www.arabguide.eu/htm
://www.arabguide.eu/htm/agnews30.html
Hdqh hk/v hgn p

– أيضا انظر إلى تصريحات مهمة لها فى :

- http://www.palpress.ps/arabic
- http://www.mahjoob.com